مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410–435 تاريخ النشر:21–10–2021

الفرق الإسلامية... روافدُ حضاريةٍ ليست معاولُ هدمٍ

Islamic sects ... tributaries of civilization not shovels of demolition

د. زبيدة الطيب
faith_zou@yahoo.fr
جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 24_10_2020 تاريخ القبول: 22_09_2021

الملخـــص:

ينظر العديد من الباحثين والمفكرين في العالم العربي والإسلامي إلى الفرق الإسلامية على أنها مصدر الفتن والحروب؛ بدليل ما يذكره تاريخ المسلمين من حوادث يعود سببها إلى الاختلاف بين الفرق في فهم وتفسير مسائل عقدية مثل مفهوم الإيمان ومرتكب الكبيرة ومسألة الصفات، والإمامة، وغيرها ... كما يدل عليه اليوم ما يحدث من اقتتال وتكفير وتضليل بين مجموعات وجماعات ومجتمعات تنتسب إلى الإسلام؛ حيث يبدو، بحسب هذه القراءة، أن أغلب أسبابه (أي أسباب الاقتتال والتكفير) تتغذى من المدونات الكلامية وكتب الفرق وتستل أغلب مقولاتها وأدلتها منها.

لقد باتت هذه القراءة، في الأوساط الأكاديمية المتخصصة في العلم الشرعي خاصة، بمثابة المسلمات التي تشكل مقدمات تصلح للبناء عليها ولا تحتاج إلى مناقشة؛ وهذا ما يتطلب، باعتقادي، إعادة النظر والبحث؛ بغرض الزحزحة وتجاوز التسطيح والذهاب إلى كشف الأسباب؛ التي أسهمت بشكل كبير في خلق ظاهرة الاقتتال بين الفرق، وهي تسهم اليوم بشكل أكبر في إعادة تدويرها وتطويرها؛ ما يجعلنا نتساءل: **إلى**

أي مدى يمكن التسليم بصحة مقولة أن الفرق الإسلامية هي أدوات تفرقة ومعاول هدم؟

وعليه فإن المقال يتقصد قراءة مخالفة تعتمد المنهج **النقدي،** وتحاول: **كشف** السبب الرئيس الذي أسهم بقوة في إذكاء نار الفتن بين مختلف الفرق والطوائف. **وإظهار** حجم المغالطة التي تنطوي عليها هذه القراءة، والتي يراد بها تسطيح وعي القارئ والمتلقي في العالم العربي والإسلامي، ومن ثمة التنازل الطوعي عن الحق في الاختلاف؛ وصولا إلى صناعة المذهب الواحد والرأي الواحد والتفسير الواحد وإلزام الناس به.

الكلمات المفتاحية: فرق إسلامية، اختلافات كلامية، علم الكلام، روافد حضارية، معاول هدم.

Abstract:

Many researchers and thinkers in the Arab and Islamic world view the Islamic sects as the source of strife and wars; Evidence for what the history of Muslims mentions of incidents caused by the difference between the differences in understanding and interpretation of doctrinal issues such as the concept of faith, the perpetrator of the major sins, the issue of attributes, the Imamate, and others... as evidenced today by what is happening today of fighting, blasphemy and deception between, groups and societies; As it appears, according to this reading, that most of its causes (that is, the causes of fighting and atonement) are nourished by theological blogs and the books of the sects, and most of their sayings and evidence are extracted from them

This reading has become, in academic circles specializing in Islamic science in particular, as postulates that constitute premises that can be built upon and do not require discussion.

This, I think, requires reconsideration and research. For the purpose of budge and transcend flatness and go to reveal the causes; which contributed greatly to creating the phenomenon of fighting between the sects, and today it contributes more to its recycling and development; What makes us wonder: To what extent can we accept the validity of the statement that the Islamic sects are tools of separation and shovels of demolition?

Accordingly, the article aims to read a contrary approach that adopts the critical approach, and tries to: reveal the main reason that contributed strongly to fueling the fire of strife and wars between the different sects. And to show the extent of the fallacy involved in this reading, which is intended to flatten the awareness of the reader and the recipient in the Arab and Islamic world, and hence the voluntary waiver of the right to disagree; In order to make one opinion, one interpretation, and obligate people to it.

Keywords:

Islamic sects, theological differences, political interests, civilized tributaries, shovels of demolition.

المقدمـــة

عرف الفكر الإسلامي الاختلاف في فهم وتفسير العديد من المسائل العقدية، في وقت مبكر من عمر الدولة الإسلامية، ونشأت في إثر ذلك فرق كثيرة؛ عرفت بالفرق الإسلامية. وقد توجهت اهتمامات العديد من العلماء والمفكرين قديما وحديثا نحو دراستها؛ فاعتبرها البعض مجموعات ضالة ومبتدعة، وكافرة؛ حادت عن الطريق المستقيم، وتنكبت عما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة من نصوص تأمر بالوحدة وتنهى عن التفرق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 02 السنة: 2021 الصفحة: 410– 435 تاريخ النشر: 21–10–2021

ومنطلق هذه القراءة ليس فقط ما ورد من ذم للفُرقة في الكتاب والسنة، بل أيضا ما نعثر عليه في تاريخنا الإسلامي من أحداث دموية بين المسلمين راح ضحيتها علماء ونُكبت أسر وعائلات، ونُفي أشخاص أبرياء وفُتحت السجون والمعتقلات وعلقت المشانق وكُممت الأفواه وصودرت الآراء وأُحرقت الكتب ونصب ما يشبه محاكم التفتيش، كان الاختلاف بين الفرق سببها الرئيسي.

لكن الناظر في تاريخ الفكر الإسلامي والقارئ لتاريخ الفرق الإسلامية؛ يقف على صورة مخالفة يجري التغافل عنها، خاصة في الدرس الأكاديمي المتخصص؛ فقد شكلت الفرق ظاهرة صحية أنعشت الجدل والفكر، ومثلت فضاء حيويا للنقاش وتبادل الآراء والدفاع عن الموقف، وجعلت أساطينها ونظارها؛ يبدعون في تخريج الأدلة والبراهين وتنويع المصادر؛ ما يجعل الشك في صحة تلك القراءة ضرورةً من الناحية المعرفية والمنهجية، وبالتالي لنا أن نتساءل: **إلى أي مدى يمكن التسليم بصحة مقولة أن الفرق الإسلامية هي أدوات تفرقة ومعاول هدم؟**

ثمة أسباب متعددة استفزت الباحث لطرق الموضوع منها:

1/ الحيرة والتذبذب الذي يجده طالب العلم الشرعي بين من يقدم له صورة إيجابية عن الفرق، وبين من يناقض ذلك الطرح الإيجابي، ويلفظه داخل الفضاء الجامعي الواحد وأحيانا في الحقل التخصصي الواحد.

2/ إن الموقف من التراث ومن الفرق الإسلامية، تحديدا، ما يزال يطرح إشكالا كبيرا في الفكر الإسلامي المعاصر وفي الدراسات الإسلامية من قبل المختصين.

3/ إن شكل الموقف هو ما يحدد شكل وكيفية التعامل مع موضوعة الفرق؛ ومن ثم يرسم شكل التعامل مع الاختلاف والتعدد اليوم بوصفه امتدادا طبيعيا لها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: X204-2588
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410- 435 تاريخ النشر:21-10-2021

4/ إن الفشل في فهم موضوع الفرق في التراث؛ يفضي تلقائيا إلى الفشل في التعامل مع امتداداتها اليوم، ما يعني فتح الأبواب لصور فظيعة ومرعبة في التعامل نعيشه اليوم.

ومن ثمة فإن المقال يهدف إلى محاولة مقاربة موضوعية؛ تَكشف السبب الرئيس الذي أسهم بقوة في إذكاء نار الفتن والحروب بين مختلف الفرق والطوائف. وتُظهر حجم المغالطة التي تنطوي عليها هذه القراءة الذي ترمي إليه هذه المغالطة.

أولا–مقدمة عامة حول مسألة الفرق الإسلامية

الفرق الإسلامية هي جزء من التاريخ الفكري والسياسي والتاريخ العام للمسلمين، وقد شكل بعضها ظاهرة صحية؛ كما هو الحال بالنسبة للمعتزلة والأشاعرة والماتردية والإباضية، كما شكل وجودها في أحيان أخرى لحظة فتن وانقسام وتفرق؛ سالت على إثرها الدماء وكممت الأفواه وصودرت الآراء، إلا أن ثمة نقاط ينبغي الوقوف عندها وتوضيحها للقارئ، وهي:

1/ إن الاختلاف بين الفرق الإسلامية جرى، ويجري حول فهم مسائل عقدية تتوزع في الغالب ما بين:

الاختلاف حول طبيعة المكلِّف: وهو ما يعرف بمسألة الذات والصفات؛ بين من يقول إن صفات الله تعالى هي عين ذاته هروبا مما يعتبرها تعددا وشركا به تعالى، وبين من يقول بل صفات الله تعالى هي غير ذاته؛ وهي التي وصف الله تعالى نفسه بها ولا يكون ربا إلا إذا وصف بها سبحانه وتعالى. وبين متوقف عند ظواهر النصوص التي وصف الله تعالى فيها نفسه بألفاظ تفيد ظواهرها التشبيه مبديا تمسكا بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأمة إزاءها وبين متجوز في ذلك ومتأول

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

هربا مما يعتبره تشبيها وتجسيما، لا يجوز في حق الله تعالى الموصوف بكونه "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".(**الشورى/11**)

الاختلاف حول طبيعة المكلَّف: والمراد بها مسألة القدرة والحرية الإنسانية؛ بين قائل بالجبر المطلق، وقائل بحرية الإنسان وإرادته الكاملة في الفعل والترك، وبين متوسط في القول قائل بالكسب.

الاختلاف حول طبيعة التكليف: هل يستند التكليف إلى الشرع فقط أم أن للعقل حق في ذلك؟ بمعنى هل التكليف شرعي أم عقلي أيضا؟ وهي مسألة التحسين والتقبيح.

الاختلاف حول منهج فهم نصوص التكليف ذاتها: بين من يجعل للعقل دورا في فهم النص وتفسيره، بل ويقدمه على النقل. ومن يجعل فهم النص مقصورا على النص ذاته مبعدا العقل تماما أو مؤخرا له عن النص في أحسن الأحوال؛ وهي المسألة المعروفة بالعلاقة بين النص والعقل أو النقل والعقل.

الاختلاف حول ثمرة التكليف: والمراد بها مسائل الوعد والوعيد والإرجاء والإحباط والوفاء.

وهذا أمر مرتبط بطبيعة الخلق التي خلق الله الإنسان عليها؛ قال تعالى:" ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين." (**هود/ 118**) إذ لا مجال لجعل الناس يفكرون بطريقة واحدة، سواء في مسائل الدين والمعرفة الدينية أو في غيرها.

2/ إن الاختلاف حول تلك المسائل والموضوعات العقدية لم يقف، في مراحل معينة من التاريخ الإسلامي، في حدود النقاشات الفكرية، بل نجده جر المسلمين إلى مواجهات وفتن كما هو الحال في محنة الإمام أحمد بن حنبل أو ما يسمى بمسألة خلق القرآن.

3/ إن ما جر القوم إلى الفتن والاقتتال ليس هو أصل الاختلاف، وإنما شكله وطريقته وأدواته؛ فالنهي الوارد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم." (**الأنفال/46**) لم يكن عن الاختلاف وإنما كان عن التزاع؛ الذي هو أحد أخطر أشكال الاختلاف الذي يؤدي إلى الاقتتال ومن ثمة الفشل، وآية ذلك أن أحد أبرز معاني التزاع في اللغة هو القلع، والمنازعة مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان.[1] حتى إذا ما أعيتهم الحجج بادروا إلى القوة بغرض التصفية والقلع، وهو الذي يفضي في نهاية المطاف إلى الفشل كما جاء في الآية.

والملاحظ أنه كما يكون التزاع سببا للفشل وذهاب القوة؛ يكون الفشل سببا للتزاع كما ورد في قوله تعالى: "حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم." (**آل عمران/ 152**) وقوله: "ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر."(**الأنفال/43**) وهو ما يفهم منه أن الفشل في الاختلاف وفي إدارة الأمور المختلف حولها أفضى إلى التزاع والذهاب نحو فرض الآراء بالقوة، ولذلك جاء النهي عن التنازع وليس عن الاختلاف في قوله تعالى: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول." (**النساء/ 59**) أي أن الفيصل في قطع الطريق على التزاع؛ حتى لا يتحول الاختلاف إلى اقتتال هو الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وبناء على ما جاء في الآيات محل الشاهد نقول: إن الفشل في إدارة الأمر " حتى إذا فشلتم وتنازعتم في **الأمر**" "لفشلتم ولتنازعتم في **الأمر**" يؤدي إلى اختيار أصعب الطرق وأخطرها في البحث عن الحل، وهو التزاع والاقتتال المفضي إلى الفشل والضعف وذهاب القوة "ولا تنازعوا فتفشلوا **وتذهب ريحكم**."

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، باب العين، فصل النون، ج8، ص 349.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

5/ إن هذه الفرق لها امتدادات واسعة في طول البلاد الإسلامية وعرضها، وهي تشكل دولا ومجتمعات مستقلة، وبعضها يشكل كيانات سياسية واجتماعية وطوائف ومذاهب داخل دول أخرى.

ثانيا–الفرق الإسلامية ... قراءة في المصطلح:

جاء في المعجم الفلسفي "الفرقة جماعة تربطهم معتقدات معينة وكثيرا ما تعزلهم عن غيرهم فيكونون مجتمعا مغلقا."[1] وهذا التعريف هو ترجمة حرفية للفظة الطائفة (sect) في اللغة الأجنبية. أما الفرق الإسلامية؛ فهي: "جماعة يربطهم فهم المعتقدات الإسلامية المعلومة فهما مميزا نتج عنه نظرية في المعرفة ومباحث التوحيد والنبوات والإنسانيات والإمامة ويكونون من جراء ذلك مجتمعا متميزا مفتوحا على غيرهم إلا من شذ منهم."[2] أي أن الفرق الإسلامية هي تلك المجموعات التي عرفت بتفسيرات خاصة لمسائل في العقيدة كمسألة فهم الصفات والقدر والنبوات وبعض مسائل اليوم الآخر، وخالف بعضها بعضا فيها؛ من دون أن يطال ذلك أصل الإيمان بالأركان الأساسية للعقيدة الإسلامية؛ أي (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، ولذلك سميت بالفرق الكلامية. كما نجد من يطلق عليها تسمية **أصحاب المقالات**، ويسمي العلم الذي يهتم بها **علم مقالات الفرق**.[3] والمقالات هي الفهوم والتفسيرات والآراء الخاصة المتعلقة بمسائل العقيدة الإسلامية.

---

[1]– مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 1983، ص135

[2]– عمار جيدل، مدخل إلى علم الفرق الإسلامية، الجزائر، دار البلاغ للنشر والتوزيع، دت، ص 14

[3]– حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت، ج2، ص1782.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: X204–2588
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

ويعرفها بعض كتاب ومؤرخي الفرق والمقالات، من القدامى والمحدثين تعريفات؛ تستبطن الموقف منها ومن منهجها في الفهم والتفسير؛ فيسمونها الفرق "الضالة والمبتدعة" و"المذمومة" التي خرجت عن جماعة المسلمين وابتدعت طرقا مغايرة في فهم وتفسير مسائل العقيدة الإسلامية؛ كما نجده عند البغدادي في قوله: "الفرق هم أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في أبواب العدل والتوحيد أو في الوعد والوعيد أو في باب القدر والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر أو في الهداية والضلالة أو في الإرادة والمشيئة أو في باب الرؤية والإدراك أو في باب صفات الله عز وجل وأوصافه أو في باب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث على أصل واحد خالفهم فيه أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى مجراهم."[1]

وهم كذلك عند الإمام ابن تيمية؛ أهل البدع؛ الذين خالفوا أهل الحديث والسنة في القول في صفات الله تعالى وخلق القرآن الكريم ومسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة ومسألة القدر. وغير ذلك من الأمور المعرفة عند أهل الحديث والسنة.[2]

ونجده عند المحْدَثين أيضا، ومنهم عبد المنعم الحفني صاحب موسوعة الفرق؛ الذي يقول: "المقصود بالفرق المذمومة أهل الأهواء الضالة الذين خرجوا على الجماعة في تفسيراتهم وتأويلاتهم وشذوا وأغربوا في أفكارهم واتخذ تطرفهم أشكال الخروج عن

[1]– البغدادي، الفرق بين الفرق، دط، د، م، ن، دت، ص11.

[2]– أنظر: ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق : محمد رشاد سالم، ط1، 1986، ج2، ص221.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

الإسلام نفسه في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد والقدر والاستطاعة والرؤية ... ونحو ذلك مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة."[1]

فالضابط في تعريف الفرق عند أصحاب هذا الموقف، كما يظهر، هو المنهج المتبع في فهم وتفسير مسائل العقيدة الإسلامية؛ ولذلك فإن مصطلح الفرقة يشمل كل من جاء بمنهج جديد مخالف لمنهج الجماعة؛ الملتزمة بمنهج السلف الصالح من الأمة في ذلك. وبناء عليه تأسس علم الفرق الذي صار علما معنيا بفرز الفهوم والتفسيرات المخالفة وضبطها تحت مسمى الفرق الضالة والمبتدعة والباطلة وأصحاب الأهواء، وهو ما تضمنه تعريف القنوجي لهذا العلم؛ حيث يقول:" علم الفرق هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية وهي على ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم عن هذه الأمة اثنتان وسبعون فرقة[2]." [3]

على أن مفهوم الجماعة الذي تم توطينه وتكريسه على مدى التاريخ الإسلامي؛ يكون قد بدأ مع مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وما تلاها إلى نكبة صفين؛ حيث تم إسقاط مفهوم الجماعة الوارد في الكثير من أحاديث لزوم الجماعة، كقوله عليه الصلاة والسلام: [إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل

---

[1]– عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، القاهرة، دار الرشاد، 1993، ص 8_9 .

[2]– يريد قوله عليه الصلاة والسلام:[وتَفترِقُ أُمَّتِي على ثلاثٍ وسَبعينَ فِرْقةً، كُلُّها في النَّارِ إلَّا واحدةً، وهي الجماعةُ]

[3]– محمد الصديق القنوجي، أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار الزكار، دمشق، دار الكتب العلمية، 1978، ج2، ص515.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم][1] وقوله: [نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها فرب حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم، إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم][2] منذ تلك اللحظة على جماعة سياسية بعينها؛ تتمثل في معاوية وشيعته من بني أمية، عندما أطلق اسم عام الجماعة على عام ملكه وتقلده أمور السلطة في سنة 41 هـ بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة؛ إذ لا منافاة عنده بين الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة وبين الخلافة والنبوة، كما يقول ابن خلدون. [3] وبالتالي صارت الفرق هي من عارض بني أمية، والمقصود بهم، حصرا، قوم أحبوا إمامة علي رضي الله عنه وكرهوا إمامة معاوية، وهم الشيعة، وآخرون كرهوا إمامة معاوية وتحفظوا أو ثاروا ضد علي رضي الله عنه ومواقفه وهم الخوارج.

وهكذا اتسع مفهوم الفرق؛ بحيث لم يعد يقتصر على المخالف في فهم وتفسير مسائل العقيدة فقط، أي الفرق الكلامية، بل شمل المعارض للموقف السياسي وشكل الحكم أيضا. وهو ما يؤكده الأكاديمي السعودي عبد الرحمن بن صالح المحمود في كتابه "موقف الإمام ابن تيمية من الأشاعرة"؛ حيث يلفت إلى أن "الفتنة التي وقعت في آخر

---

[1]– صحيح مسلم، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، كتاب القضاء والشهادات، ج4، ص476، رقم الحديث: 1761.

[2]– ابن ماجة، صحيح سنن ابن ماجة، ط1، الرياض، مكتبة المعارف، 1997، باب: من بلغ علما، ج1، ص96، رقم الحديث 194.

[3]– أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ضبطه ووضع حواشيه وفهارسه: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 2000، ج2، ص 650

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان من آثارها استشهاده، ثم نشأت على أثر ذلك الفرق، وكانت أول بدعة نشأت هي بدعة الخوارج والروافض، فالخوارج كفروا عليا ــ رضي الله عنه ــ وخرجوا عليه، والروافض ادعوا إمامته وعصمته."[1]

وقد ذهبت دراسات أخرى إلى خلاف ذلك؛ حيث قصرت مفهوم الفرق على من كان له منهج خاص في فهم مسائل العقيدة من المتكلمين، كما وقفنا عليه في تعريف الفرق عند عمار جيدل، وزاد آخرون المتصوفة؛ باعتبارهم يمثلون منظومة فكرية تمتلك منهجا في فهم مسألة الوجود الإلهي ومسائل عقدية أخرى، وهو ما نجده عند الرازي في الباب الثامن من مؤلفه فرق المسلمين والمشركين؛ حيث يقول: "في أحوال الصوفية: إعلم أن أكثر من قص فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن."[2] وقد نبه إلى ذلك مصطفى عبد الرازق في محاضرة بعنوان الصوفية والفرق الإسلامية ألقاها سنة 1932 في مؤتمر تاريخ الأديان، ونقله علي سامي النشار في مقدمة كتاب فرق المسلمين والمشركين للرازي الذي قام بتحقيقه. وهو ما نفهم منه أن مصطلح الفرق الإسلامية يمكن أن يتسع ليشمل كل من كان له فهما وتفسيرا لمسائل العقيدة الإسلامية؛ تنتج عنه مواقف سياسية ورؤى ونظريات فكرية في الحياة وفي سائر الشؤون الدينية والدنيوية.

---

[1]– عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض، مكتبة الرشد، 1995، ص43

[2]– فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982، ص72

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

وقد وجدنا من القدامى من جعل لفظة الفرقة صنوا للطائفة؛ كما هو الحال بالنسبة للشهرستاني في قوله: "ولأصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب: أحدهما أنهم وضعوا المسائل أصولا ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة. والثاني أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المذاهب أصولا ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة."[1] فالفرقة عنده بمنزلة الطائفة. وهو ما عثرنا عليه في تعريف الفرقة في المعجم الفلسفي وخالفه عمار جيدل عندما عرف الفرق الإسلامية بأنها مجتمعا متميزا مفتوحا على غيرهم إلا من شذ منهم.[2] أي أن الفرقة غير الطائفة، وهي من ثمة لا توصف بالانغلاق على نفسها وأفكارها، لأن الأصل في الممارسة الكلامية هو الانفتاح على الفرق الأخرى، وعلى حججها قصد مجادلتها ودحض مقولاتها وإثبات حقانية وصوابية الآراء والتفسيرات الخاصة.

ثم إن الفرقة هي في الأصل أكثر انفتاحا؛ نظرا لتركيبتها النخبوية في مقابل الطائفة التي هي نسيج اجتماعي يضم كل الشرائح، ويعمد أفراده إلى التمسك بالكثير من الاعتقادات والأفكار والطقوس الموروثة، مهما بدا تهافتها لأنها تمثل الهوية التي يجب أن يحميها كي تحميه، ولذلك فالفرقة ليست هي الطائفة، بل يمكن أن يكون في الطائفة الواحدة العديد من الفرق التي تتفاوت في الانغلاق والانفتاح والغلو والإنصاف.

كما وجدنا من المحْدَثين من سمى الفرقة مذهبا، منهم عبد الرحمن بدوي في كتابه "مذاهب الإسلاميين"؛ حيث ذكر فيه: المعتزلة، الأشاعرة، القرامطة، الإسماعيلية والنصيرية. ومحمد أبو زهرة في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية" الذي يذكر فيه مذاهب سياسية واعتقادية وفقهية، وهو يعني بالمذاهب الاعتقادية الفرق الكلامية، وذكر منها

---

[1]– الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996، ص 06

[2]– أنظر: عمار جيدل، مدخل إلى علم الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ص 14

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

القدرية والمرجئة والأشاعرة والماتريدية. وقال إن اختلافاتها "لم تكن حول لب العقيدة كمسألة الجبر والاختيار وغيرها من المسائل التي جرى حولها اختلاف علماء الكلام مع اعتقاد الجميع بأصل الوحدانية وهو لباب العقيدة الإسلامية لا يختلف فيه أحد من أهل القبلة."[1] ولما كان المذهب هو ما يذهب إليه الشخص؛ متوسلا بمنهج خاص يسلكه ويوصله، بحسب ما تشهد عليه اللغة، فإنه صح إطلاق لفظة المذهب على الفرق.

ومن جهة أخرى فإن انخراطها في الصراع الاجتماعي والسياسي وكونها جزء منه صيرها مذهبا؛ ذلك أن "العقائد عند ما تتحول إلى مذهب أو عندما يتعامل معها الناس، سواء أتباعها أو خصومها، بوصفها كذلك فإن ذلك يعني أنها أصبحت منغمسة بصورة أو بأخرى في الصراع الاجتماعي مما يجعل تاريخ تطورها مرتبطا بالتاريخ العام والسياسي منه خاصة"[2] على أن الشائع بين المختصين أن أكثر استعمال لفظة الفرق مقرونا بالعقائد في الوقت الذي شاع فيه استعمال المذهب مقرونا بالفقه وعلم الخلافيات.

وقد سماها بعضهم تيارات كما هو الحال بالنسبة لمحمد عمارة في مؤلفه "تيارات الفكر الإسلامي" الذي أتى فيه على التأريخ للفرق الإسلامية ومقولاتها واعتبارها روافد الفكر الإسلامي المعاصر، وهي تيارات بالمعنى الذي تعدت مقولاتها وتأثيراتها الجانب المعرفي إلى المجتمع والسياسة وسائر مفاصل الحياة، فكانت تيارات ولجج كتيارات البحر وأمواجه المزبدة.[3]

---

[1]– عبد الرحمن أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، دت، ص 06

[2]– محمد عابد الجابري، مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص12

[3]– ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، باب الراء، فصل التاء، ج 4، ص96

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

ثالثا–الفرق الإسلامية... قراءة فكرية:

إن القارئ لتاريخ الفرق الإسلامية يجد أن "الفرقة أوّل ما تنشأ تعبّر عن مشروع فكري ناهض بوظيفة تأويل جديد للنص القرآني. ثمّ تتشكّل أسس ذلك المشروع شيئًا فشيئًا بحسب ما توفّره المعرفة السائدة من إمكانات بحث ونظر ومناهج استدلال وحجاج."[1] إلا أن النص القرآني الذي تعنى به الفرق الإسلامية؛ هي النصوص الثانوية للمعرفة العقدية والمعارف ذات الصلة، تحديدا، ولا تعد سائر النصوص القرآنية كنصوص الأحكام والقصص وغيرها محل اهتمام أصحاب المقالات، إلا في الحدود التي يحتاجها في الاستدلال في تأويله للنصوص العقدية؛ أي أنها كانت استجابة معرفية لحاجات وتحديات واقعية.

فالفرق الإسلامية؛ هي منظومة فكرية قائمة على تصورات ومفاهيم وتفسيرات خاصة للعقيدة الإسلامية؛ يعتمد بعضها التأويل العقلي الصرف منهجا لفهم النصوص وتفسيرها، كما هو الحال بالنسبة للمعتزلة والإمامية والإباضية، وينحو البعض الآخر نحو المزاوجة بين التأويل العقلي والأخذ بظاهر النص، كما هو الحال بالنسبة للأشاعرة والماتريدية. ويتمسك آخرون بترك التأويل والالتزام بظواهر تلك النصوص كما الحال بالنسبة لغالبية أهل الحديث من أتباع الإمام أحمد وابن تيمية. وتصدر عنها بالضرورة مواقف سياسية وممارسات عملية لفروع الدين وتطبيقاته في الواقع.

وبصرف النظر عن الموقف من تأويلات الفرق الإسلامية لمسائل عديدة في العقيدة الإسلامية والاختلافات الناجمة عن ذلك؛ فإن الفرق تعد "من مظاهر خصوبة

[1]– بسام الجمل، مقالة في الفرق الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، جويلية 2020، تاريخ الدخول: 2020/9/20. https://www.mominoun.com/articles%

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

الفكر الإسلامي ومن ثم ازدهار الحضارة الإسلامية." [1] وتعد من ناحية أخرى الممثل الحقيقي للفلسفة الإسلامية في مقابل الفلاسفة المشائين من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد الذين هم مقلدة اليونان؛ كما يذهب إلى ذلك علي سامي النشار الذي يقول: "ما زلت أقول أن الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد "مقلدة اليونان" والمقلد غير عقلاني [...] لقد بدأ الإبداع الفلسفي في الإسلام لدى المعتزلة وأعقبهم الأشاعرة والشيعة وهنا تكمن فلسفة الإسلام الحقيقية."[2] وهي الجانب الأصيل فيها؛ بنظر الشيخ مصطفى عبد الرازق ومحمود الخضيري وعبد الهادي أبو ريدة كما يلح على ذلك الدكتور علي سامي النشار.

والفرق الإسلامية، إلى جانب ذلك، تشكل الحواضن والأطر الفكرية والاجتماعية للمعرفة العقدية وتأويلاتها المختلفة، وتعكس تنوع وتعدد التحديات والإشكالات التي استولت على اهتمام المتكلمين؛ فالفكرة تندثر في غياب الدائرة الاجتماعية والمعرفية التي تحتضنها أو تتقاطع أو تتشابك معها، وإنما رسوخها بقدر انتشارها واتساع دوائرها، ولذلك فإنه لا يمكن الحديث عن نشأة علم الكلام والفلسفة الإسلامية دون الحديث عن الفرق الإسلامية؛ بوصفها الخزان الذي يحتفظ بالآراء الكلامية المختلفة.

رابعا–نقد القراءة الهدمية للفرق الإسلامية:

وفي قراءة هدمية يذهب البعض إلى أن التاريخ الإسلامي؛ يحتفظ بالكثير من العناصر واللحظات المظلمة والمؤلمة التي يرون أن سببها هو الفرق، ويصر أصحاب هذه

---

[1]– أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، بيروت، دار النهضة، 1995، ج1، ص09

[2]– علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، 1977، ص18

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

القراءة على ترديد ذلك وتقديمه للقارئ على أنه المعلومة والمعرفة الدينية الصحيحة؛ التي توافق التاريخ ولا تخطئها الوقائع.

وفي هذا السياق يمكن للقارئ أن يقف على ترسانة الكتب والمؤلفات والمقالات ومذكرات التخرج؛ التي تطبع وتنشر هنا وهناك، والتي يجتهد أصحابها في الترويج لمقولة الوحدة العقدية وتبديع وتضليل مختلف الفهوم والفرق؛ بالتذكير بالسقطات والاختلالات التي مر بها المسلمون في تاريخهم، ويمرون بها في حاضرهم وربط كل ذلك بوجود الفرق الكلامية.

كما يمكنه أن يقف على المقررات الدراسية والمحاضرات والدروس، وما يقدم لطلبة العلم الشرعي في بعض الجامعات المتخصصة في العالم الإسلامي من مادة " معرفية" حول الفرق الإسلامية؛ تكرس مقولة الفهم الواحد وتشيطن وتبدع الاختلاف وتحصر التفسير القويم في الفرقة الواحدة، وتقدم لذلك المبررات والمحاذير وترسم أهدافا لدراسة الفرق منها:

1/ تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يدا واحدة.

2/ لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه وما لحقهم من خسارة بسبب تفرقهم.

3/ توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه ومحاسن اتحاد المسلمين.

4/ تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم ليجتنبوها.

5/ معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية من أفكار وأراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

6/ رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم لتعرية دورهم الخطر في تفريق وحدة الأمة الإسلامية.

7/ وصل حاضر الأمة بماضيها وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها.[1]

إن هذا الرأي لا يتضمن رؤية معرفية للفرق؛ بقدر ما هو توجه أيديولوجي يخدم أغلب السلطات الاستبدادية في العالم العربي، والتي تسعى، اليوم، إلى تنميط المجتمعات وإلزامها برأي واحد يصنع تحت عينها، وذلك عن طريق ترديد مقولة أن التعددية المذهبية والفكرية هي تهديد للأمن والاستقرار وإضعاف للحمة والروح الوطنية. وهو ما نعتبره مغالطة؛ إذ المطلوب هو الإلحاح على ضرورة الاحترام؛ فهو ما يصنع الاستقرار واللحمة الوطنية وليس التنميط الذي يقتل المواهب ويكلس الفكر ويسطح الوعي.

ثم إن هذا الرأي يتماهى إلى حد كبير مع الآراء والمواقف التيئيسية للاستعمار الجديد؛ الذي تربط نخبه ودوائره مسألة التوافق والوحدة بين المسلمين بالقضاء على الحالة الطائفية والمذهبية وسائر الإثنيات؛ التي لا مجال للقضاء عليها نظرا لرسوخها في العالم العربي والإسلامي، وكأن هناك مجتمع خال من وجود آراء أو فرق أو طوائف أو إثنيات، وهي تعمل اليوم في السر والعلن على تأبيد عوامل تفرقها وجعلها مسألة بنيوية لا ينفع الحوار والتفاهم بوجودها، ومن ثمة تبقى حاجتها قائمة ومستمرة إلى المواجهات العسكرية من أجل حل ما يعلق من مشاكل بين أفرادها ومجتمعاتها وكياناتها السياسية. وبذلك تستمر قوى الهيمنة في إحكام قبضتها وتنفيذ مشاريعها في المنطقة.

[1]– مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق والأديان والجماعات المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية، تاريخ الدخول: 2020/09/20. https://dorar.net/firq/2 /

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

إن ما نعنيه له شواهده؛ فالناظر في التاريخ الإسلامي يلحظ أن العامل السياسي وتلاعبات الحكام كانت في غالب الأحيان أكثر الجهات؛ التي تؤدلج الاختلافات وتدفع الفرق والآراء إلى المواجهة عن طريق الاصطفاف إلى جهة ضد الأخرى أو عن طريق إشغال الجميع بالجميع خدمة لمصالح سلطتها. وهكذا كان الأمر في حادثة خلق القرآن الكريم أو ما يعرف بمحنة الإمام أحمد بن حنبل؛ التي هي في الأصل اختلاف حول مفهوم صفة كلام الله تعالى بين المحدثين والفقهاء الرافضين للقول بأن كلام الله تعالى مخلوق وبين المعتزلة الذين أصروا على القول بخلق كلام الله تعالى؛ ومن ثمة خلق القرآن الكريم بوصفه كلاما دفعا لما اعتبروه تعددا.

وقد نجحت السلطات العباسية سواء منها التي انتصرت للمعتزلة أو تلك التي شايعت المحدثين والفقهاء في ترسيخ مفهوم الوحدة القائم على شيطنة الرأي الآخر ونبذ الفهم المخالف؛ وبلغ ذلك أوجه مع ما يعرف بالاعتقاد القادري الذي شرع السيطرة على نصوص الكتاب والسنة والانفراد بالحقيقة والانغلاق عليها، ومن ثمة امتلاك السلطة الكاملة في محاربة الفهوم والفرق الأخرى.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: "قال أبو الحسن ابن الفراء: أخرج الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو جعفر ابن القادر بالله في نيف وثلاثين وأربعمائة " الاعتقاد القادري" فقرئ في الديوان وحضر الزهاد والعلماء. وممن حضر: الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني فكتب خطه: إن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر.[1] وفيها تفصيل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتثبيت لأسماء الله تعالى وصفاته على ما هي على حقيقتها؛ إذ هي "حقيقة لا مجاز، ويعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق تكلم به

[1]– أبو الفرج ابن الجوزي، ا لمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار الكتب العلمية، دت، ج15، ص279.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

تكليما وأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل وتلاه أصحابه على الأمة و لم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقا لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم به. ومن قال إنه مخلوق فهو كافر حلال الدم... "[1]

وقد تم توريث فكرة النجاة من الفتن وواحدية الفهم أو الدمج بينهما كعنصرين؛ يقرأ في ضوئهما تاريخ الفرق والمذاهب وتصاغ الدروس والمحاضرات لطالبي العلم الشرعي؛ وتم تكريسها حتى صارت اليوم مسلمة عند الدارسين والمتلقين، وصارت الفرق محل نفور وازدراء؛ فالفرق الإسلامية في تلك الأدبيات هي من العلوم البدعية؛ التي فرقت الأمة أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون، وهي أحد أقوى الأسباب التي تربض وراء الاقتتال والحروب التي حصلت وتحصل بين المسلمين. فيما يتم استبعاد دور الاستبداد السياسي في التاريخ وفي الراهن الإسلاميين في توسيع دوائر التطرف والتكفير والانغلاق، بل والاقتتال.

لقد كان خطاب إدانة الفرق، ولا يزال وراء معظم الممارسات القمعية؛ التي تنتهجها السلطات الاستبدادية ضد المخالفين؛ رافعة شعار ودعوى الحد من الفتن وحماية المجتمعات من التفرق، وجعل الفرق المشجب الذي تعلق عليه كل مظاهر الفشل والتخلف. وهكذا"... ساد الموقف التسلطي في فرض الآراء الكلامية وتصنيف أية محاولة لا تلتقي مع الموقف الأيديولوجي للسلطة ووعاظها باعتبارها ابتداعا ومروقا وانشقاقا على وحدة الأمة."[2] وصارت آراء الفرق سياطا تسلط على الخصوم الفكريين

---

[1]– المصدر نفسه، ص 280

[2]– عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مقدمة: الاجتهاد الكلامي–مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، دار الهادي للنشر والتوزيع، ص16.

والمعارضين السياسيين وعلى المجتمعات والشعوب، وجرى ترويض العقل المسلم على أن الآراء المتعددة سواء في المعرفة الدينية أو في غيرها هو تهديد للأمن وتكريس للفوضى والفتن.

لقد أسهمت أدلجة وتوظيف فهوم وتأويلات الفرق في خلق وتأمين بيئة؛ ازدهر فيها الرأي الواحد والفهم الواحد والتفسير الواحد، وتقديمه على أنه هو الإسلام الذي يكفل وحدة الأمة والقضاء على الفوضى؛ حتى صار هذا الرأي أو الخطاب مع مرور الأيام "... مصدرا للمواقف الصارمة العنيفة تجاه عامة المسلمين من الذين ينتهجون نهجا مغايرا ويستندون إلى العقل في فهم وتحليل قضايا المعتقد، ويمارسون الاجتهاد الكلامي ويرفضون الترسيمات الأيديولوجية الجاهزة ويحرصون على غربلة ومحاكمة الآراء الكلامية واصطفاء ما ينهض الدليل على إثباته ونفي ما سواه."[1]

ومعنى ذلك أنه لا علاقة للفرق الكلامية بالفتن والاقتتال، كما يتم الترويج له، وليست الفرق أو مقولاتها المختلفة هي ما أفسد حال الأمة قديما، وليست هي ما يذهب ريحها اليوم، لأنه لا يمكن لأي فرقة أو رأي أن يكون له القدرة على فعل ذلك، مهما كانت قوة مقولاته وانتشارها في أوساط الناس، ما لم تكن وراءه سلطة سياسية تمتلك قوة الفعل والأمر والنهي، ولذلك يجب لفت الانتباه إلى التوظيف الأيديولوجي والمصالح السياسية الضيقة التي تقف خلف الموضوع؛ لتُظهر أن السلامة في شكل الوحدة التي ترسمها السلطات الاستبدادية وتخدم مصالحها وأيديولوجيتها بالدرجة الأولى؛ لنخلص إلى أن مرد الخطر لا يعود إلى تعدد الفرق والآراء، بقدر ما يعود إلى أدلجتها واستغلالها واستعدائها ضد بعضها البعض لمصلحة جهة أو سلطة أو مذهب أو طائفة أو غير ذلك. وهو ما جعل المفكر السوري برهان غليون يرفض أن تكون التركيبة الطّائفيّة

[1]– المرجع السابق، ص 18

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

للمجتمعات العربية المشرقيّة مشكلة أو "عاهة بنيوية مرتبطة بتكوين المجتمعات العربية المشرقية ذاتها، ولا يمكن فصلها عنها طالما بقيت هذه المجتمعات ذات بنية تعددية."[1] بل "إن العاهة الحقيقيّة هي أدلجة الطائفيّة باستمرار عبر التّشديد عليها والمبالغة في إظهار عمقها في الماضي، والجزم بأبديّتها في المستقبل من خلال قياس ضمنيّ على ذكريات التّاريخ الحقيقيّة أو الوهميّة التي تجعل من هذا الفكر الانفصالي عاجزاً عن إدراك "التعدّد داخل الواحد، والواحد داخل المتعدّد"[2]

وهكذا يتبين أنه لا مجال للقول بالقضاء على الفرق والمذاهب من أجل السلامة من الفتن، بل ينبغي التشديد في فضح الصورة الأيديولوجية؛ التي يتم تقديم موضوع الفرق بها سواء في الأوساط الأكاديمية والجامعات والمراكز العلمية المتخصصة أو في وسائل الإعلام، ومن ثم الفصل بين الفتن والمواجهات في العالم الإسلامي ووجود فرق ومذاهب فيها؛ لأن الربط بينها هو صنيع السلطات الاستبدادية والتيارات التي تتخندق معها، وتعمل على ربط مقولة السلامة من الفتن بواحدية الفهم؛ بشكل مكثف وسريع وممنهج؛ بحيث يجري ترويض العقل المسلم على قبول شكل واحد من المخالفين، وهو الشكل الذي تفرضه السلطة.

ومع الإصرار على فرض صيغة السلامة من الفتن بالقضاء على الفرق من قبل هذه السلطات؛ يجد العقل المسلم نفسه منساقا إلى القبول بها(بالصيغة)؛ فيجري التنازل الطوعي عن الحق في الاختلاف عن طريق التشديد على المخالف وتكفيره وتبديعه

---

[1]– برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، بيروت، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، 2012، ص08

[2]– أدغار موران، النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009، ص81

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

وتضليله، وهو ما نلحظه في مقاعد الدراسة ومدرجات الجامعات، بل وبين عموم المسلمين على منصات التواصل الاجتماعي.

إن الفرق في الفكر الإسلامي هي روافد حضارية ودليل على خصوبة التراث الإسلامي الفكري والكلامي على وجه الخصوص، وهي تشكل أحد مظاهر الانفتاح بالنظر إلى مستوى المطارحات الفكرية وطبيعة الموضوعات المتميزة والمناهج المعتمدة.

والربط بين الفتن ووجود الفرق دليل على قصور في الرؤية وتغافل عن السبب الحقيقي للاقتتال والفتن، وهو سبب يرتبط بالمشكلة الحضارية التي ما فتئ المفكر بن نبي يلح عليها، وتتعلق بالإنسان الذي لم يع بعد الأبعاد والعوامل الحضارية؛ التي تشكل المجتمعات والأمم وتعطيها المناعة وقوة البقاء، وفي مقدمتها البعد المعرفي والحق في الاختلاف بعيدا عن منطق الجماعة والفرقة الناجية، التي تصنع على عين السلطة، أيا كانت هذه الجماعة، والجهل أو التغافل عن هذا البعد هو ما يحول الفرق من روافد حضارية إلى معاول هدم؛ يوظفها السياسيون والمتربصون من أجل إغراق المنطقة في المزيد من المواجهات والحروب العبثية.

لقد آن الأوان أن يتحمل المختصون مسؤولية البيان والإيضاح، وتجفيف منابع التعصب بتعديل النظرة إلى الفرق والكلام عن طريق صياغة خطاب وتقديم دروس؛ تنظر بإيجابية إلى الفرق الإسلامية وتراثها، وترفض سياسة الإقصاء والتهميش المعرفي ضد الإنجازات الثقافية والمعرفية؛ التي أسهمت بها كل الفرق والمذاهب في الحضارة الإسلامية، وتجاوز الفكرة السائدة، وهي أن "ليس في الخوارج ولا في الروافض ولا في الجهمية ولا في القدرية ولا في سائر أهل الأهواء الضالة إمام في الفقه ولا إمام في الرواية ولا إمام في اللغة والنحو ولا موثوق به في نقل المغازي والسير والتواريخ ولا إمام في الوعظ والتذكير

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

ولا إمام في التفسير والتأويل."[1] بل الأغلبية منهم شاركت بالكثير أو اليسير في التأسيس المعرفي والثقافي للحضارة الإسلامية، والدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن فلسفة الإسلام المعبرة عن أصالته تجاه أهل الفلسفات الأخرى من مسيحيين ويهود وثنوية وفلاسفة على خلاف ما يتم تداوله أيديولوجيا وليس معرفيا [2]؛ ما يعني ضرورة الانتباه إلى الدور الهدمي والسلبي الذي تصنعه الأيديولوجيات المنغلقة والأنظمة الاستبدادية في هذا المجال.

الخاتـــمة

لا شك أن النظرة السلبية إلى الفرق الإسلامية، اليوم، هي نتاج أفكار ومواقف طغت عليها السياسات الاستبدادية والأيديولوجيات المنغلقة وتظافرت معها آراء وفتاوى المنتفعين، والتحمت بالماضي وترسخت عند الكثيرين ووصلت إلى حد القناعة واليقين عند آخرين. ما يجعل تعديلها صعبا في وضع يهيمن الأيديولوجي والسياسي على المشهد الفكري والمعرفي الديني خاصة، ويعمل على توجيهه، لكن يبقى الرهان قائما على ما يتم صناعته داخل المدرجات والأقسام والبحوث الأكاديمية الجامعية، وما يتم صياغته وتقديمه للقارئ والمتلقي في المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية والمقررات الدراسية؛ من أجل فك الارتباط بين الفتن والفرق، واستثمار الفروق الفكرية والاختلافات الكلامية في إنعاش الفضاءات الفكرية والنقاشية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا– الكتب

1/ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دت.

---

[1] – البغدادي، الفرق بين الفرق، مصدر سابق، ص 287

[2] – أنظر: علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، ج2، مرجع سابق، ص 17

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:410– 435 تاريخ النشر:21–10–2021

2/ بدوي عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، بيروت، دار العلم للملايين، 1997.
3/ البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، دط، د، م، ن، دت.
4/ ابن الجوزي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زوزو، دط، بيروت، دار الكتب العلمية.
5/ جيدل عمار، مدخل لدراسة الفرق الإسلامية، الجزائر، دار البلاغ للنشر والتوزيع، دت.
6/ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج02.
7/ الحفني عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط، القاهرة، دار الرشاد، 1993
8/ ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ضبطه ووضع حواشيه وفهارسه: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 2000، ج2.
9/ الرازي فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة: علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982.
10/ الرفاعي عبد الجبار، علم الكلام الجديد، مقدمة: الاجتهاد الكلامي–مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
11/ أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، دت.
12/ الشهرستاني، الملل والنحل، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ج1

13/ صبحي أحمد محمود، في علم الكلام، ط5، بيروت، دار النهضة العربية، 1995، ج1.

14/ غليون برهان، المسألة الطّائفيّة ومشكلة الأقليات، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط3، كانون الثاني/ يناير 2012.

15/ القنوجي حسن الصديق، أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار الزكار، دمشق، دار الكتب العلمية، 1978

16/ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 1983.

17/ المحمود عبد الرحمن بن صالح، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض، ط1، مكتبة الرشد، 1995، ج1.

18/ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، بيروت، المكتبة العصرية، 2005، ج4.

19/ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج8، ج4

20/ موران أدغار، النهج، إنسانية البشرية، الهويّة البشرية، تر: هناء صبحي، (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 2009.

21/ النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط7، مصر، دار المعارف، 1977، ج2.

ثانيا–المواقع الإلكترونية

بسام الجمل، مؤمنون بلا حدود، مقالة في الفرق
https://www.mominoun.com/articles%

مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية،
https://dorar.net/firq